



مذلة الذرائسات الاعوية

المجلد الحادي والعشرون - العدد الثالث - (رجب - رمضان ١٤٤٠هـ / مارس - مايو ٢٠١٩م)

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض

■ التماسك النصي في القصص النبوي
«حديث الأبرص والأقرع والأعمى نموذجاً»

■ الصورة الصوتية بين اللهجات العامية
الدارجة واللاغة

■ كاشية على الشافية لعصام الدين
الإسفراييني (المتوفى سنة ٩٥١هـ)

■ تحديد قبائل الاحتجاج اللغوي بين
المقولات التنظيرية والواقع اللغوي

■ قياس نسبة الفصاحة في الألفاظ

■ كتاب (من أسرار اللغة) للدكتور إبراهيم
أنيس - عرض ونقد -



رئيس التحرير
تركي بن سهو العتيبي
مدير التحرير
خالد بن سعود العصيمي

مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ردمدم: ٨٥١٣-١٣١٩

الإيداع: ٢٠/٩٨٢

المجلد الحادي والعشرون - العدد الثالث -

(رجب - رمضان ١٤٤٠هـ / مارس - مايو ٢٠١٩م)

- ٥ التماسك النصي في القصص النبوي
«حديث الأبرص والأقرع والأعمى نموذجاً»
أماني بنت عبد العزيز الداود
- ٧٥ الصورة الصوتية بين اللهجات العامية الداريجة واللغة
محمد محمد الحسيني العشري
- ١٧٧ حاشية على الشافية لعصام الدين الإسفراييني (المتوفى سنة ٩٥١هـ)
إبراهيم غازي مناور الحربي
- ٢٤١ تحديد قبائل الاحتجاج اللغوي بين المقولات التفسيرية والواقع اللغوي
ماجد بن عمر القرني
- ٣٢٧ قياس نسبة الفصاحة في الألفاظ
عباس علي السوسوة
- ٣٤٧ كتاب (من أسرار اللغة) للدكتور إبراهيم أنيس - عرض ونقد -
عبد الجليل مصطفىاوي و عبد القادر سلامي

المحتويات

مجلة الدراسات اللغوية

ص.ب. ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية - ناسوخ ٤٦٥٩٩٩٣

Journal of Linguistic Studies

P.O. Box 51049 Riyadh 11543 Saudi Arabia - Fax:4659993

البريد الإلكتروني

Arabic1433@kfcris.com

عنوان المراسلة

هيئة التحرير:

سيف بن عبد الرحمن العريفي
صالح بن سليمان العمير
عبدالرحمن بن محمد العمار

الهيئة الاستشارية للتحرير:

- إبراهيم بن سليمان الشمسان أستاذ النحو في جامعة الملك سعود.
- بدر بن محمد الجابري أستاذ النحو في الجامعة الإسلامية.
- سعد عبدالعزيز مصلوح أستاذ اللسانيات في جامعة الكويت.
- صلاح الدين صالح حسنين أستاذ علم اللغة في جامعة بني سويف.
- عبدالله صالح بابعير أستاذ النحو في جامعة حضرموت.
- عياد بن عيد الثبيتي أستاذ النحو في جامعة أم القرى.
- فايزة بنت عمر المؤيد أستاذ النحو في جامعة الإمام عبدالرحمن الفيصل - الدمام.
- محمد أحمد الدالي أستاذ النحو في جامعة الكويت.
- محمد بن يعقوب تركستاني أستاذ علم اللغة في الجامعة الإسلامية.
- مسعود صحراوي أستاذ اللسانيات في جامعة الأغواط بالجزائر.

ضوابط النشر:

- ١- أن يكون البحث ضمن اختصاصات المجلة، وهي: الدراسات النحوية والتصريفية واللغوية واللسانية والعروضية.
 - ٢- ألا يزيد البحث على خمسين صفحة.
 - ٣- ألا يكون البحث منشوراً، أو مقدماً للنشر في مجلة أخرى.
 - ٤- أن يكون البحث مطبوعاً على ورق (A4).
 - ٥- دقة التوثيق والتخريج، وأن تكون هوامش كل صفحة أسفلها.
 - ٦- أن يكون البحث مذيلاً بالمراجع كاملة البيانات.
 - ٧- أن يكون البحث باللغة العربية.
 - ٨- أن يكون البحث متمسكاً بالأصالة، وفيه جدة وابتكار.
 - ٩- أن يقدم الباحث من بحثه ثلاث نسخ وملخصاً له.
 - ١٠- لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت أم لم تقبل.
- تخضع البحوث التي تقدم إلى المجلة للفحص العلمي من قبل متخصصين ترشحهم هيئة التحرير.

كل ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

أولاً : البحوث والدراسات

التماسك النصي في القصص النبوي
«حديث الأبرص والأقرع والأعمى نموذجاً»

إعداد

أماني بنت عبد العزيز الداود
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة جدة

• الملخص

توجّه البحث اللغوي في الآونة الأخيرة إلى تحليل النص بوصفه أكبر وحدة قابلة للتحليل، وعُني بدراسة النص وإبراز مميزاته، وتماسكه وأتساقه، ووضع الضوابط التي يُشترط توافرها في التعبير اللغوي؛ لِيُمنَح شهادة النصية، ويتجه هذا البحث إلى تطبيق أحد هذه الضوابط - وهو «التماسك النصي» - على نص مقدّس هو الحديث النبوي الشريف، وتحديدًا الذي يحمل قصةً في طياته، واختير منه «حديث الأبرص والأقرع والأعمى نموذجاً»؛ للكشف عن آليات التماسك النصي في النص الحديثي القصصي المدروس، بوصفه نصّاً أدبيّاً عربيّاً بليغاً؛ لتحليله، وإبراز نصّيته.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي القائم على تتبّع عناصر التماسك النصي في الحديث، مع محاولة توثيقها، انطلاقاً مما تأصل في الدرس العربي القديم.

وقد جاء البحث في مبحثين؛ الأول منهما بعنوان: التماسك النحوي، وفيه خمسة مطالب، هي: الإحالة، التعريف، الحذف، الاستبدال، الوصل، أمّا المبحث الثاني فقد جاء بعنوان: التماسك المعجمي، وفيه مطلبان؛ هما: التكرير، والتضام. وخلص البحث إلى أنّ عناصر التماسك كان لها أثرٌ جليٌّ في ربط النص الحديثي المدروس وتماسك أجزائه من ناحية، كما أظهر إسهامها في تحقيق التسلسل القصصي، وترابط الأحداث، وترتيبها، وإعطائها التسلسل الزمني المناسب لها، مع أثره في وضوح لغة الحوار، ومنطقية الأحداث، والكشف عن سمات شخصيات القصة، مما خلق صلةً وثقى بين أجزاء النص من ناحية، وبين المتلقي والنص من ناحية أخرى.

كما أكد البحث أن الإيجاز علّم على الحديث النبوي، لا سيما القصصي منه، وتجلت مظاهر الإيجاز في الإحالة النصية القبليّة، من خلال استعمال الضمائر

وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وفي الحذف بأنواعه الواردة في النص، وهي:
الحذف الحرفي، والاسمي، والجُمليّ.

ومما توصي به الدراسة إعادة النظر في توصيف بعض عناصر التماسك النصي؛ لمحاولة الوصول إلى مقياس واضح يفصل بين العلاقات الدلالية في عنصر التضام، بحيث يمكن تصنيفها وفق أطر محددة تتناسب وطبيعة اللغة العربية، كما لُوْحظ خلال التطبيق وجودُ تداخل بين بعض عناصر التماسك، كالاستبدال وأدوات المقارنة.

المقدمة

توجّه البحث اللغوي في الآونة الأخيرة إلى تحليل النصوص بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل، فتخطى بذلك حدود الجملة إلى محيط النص؛ لأنّ اجتزاء الجملة وعزلها عن سياقها في النص يُعدُّ قصوراً في الدراسة اللغوية الغربية، واهتم علماء لسانيات النص بـ(التماسك النصي) الذي يعد من أكثر المصطلحات شيوعاً وانتشاراً في الدرس اللغوي الحديث؛ لما له من أثر في ترابط النص من ناحية، وتحقيق غرض المتج وإيصال المعنى للمتلقي من ناحية أخرى، وبه يفرّق بين النص واللانص.

ونظراً لشغفي بمجال اللغويات، وأهمية الموضوع، وحدثته النسبية؛ توجّه البحث إلى تطبيق أحد أصول هذه النظرية الحديثة على نص مقدّس، هو الحديث النبوي الشريف؛ حيث تتجلى فيه البلاغة النبوية، والإعجاز اللغوي.

وتهدف الدراسة إلى الكشف عن آليات التماسك النصي في الحديث النبوي بوصفه نصّاً أدبياً عربياً على درجة عالية من البلاغة، وقد وقع الاختيار على الأحاديث التي تتضمن قصة؛ لأنها - على حد علمي - لم تُدرّس من هذه الزاوية، ثم حُدّد حديث الأبرص والأقرع والأعمى نموذجاً؛ لتحليله، وإبراز نصيته، وذلك لعدة أسباب، منها: ظهور عناصر التماسك النصي بجلاء ووضوح، إضافةً إلى أن طول الحديث مناسب للدراسة مما يسهل عملية التحليل ويجمع أطرافها.

وقد وقع الاختيار على عنصر التماسك النصي من بين الضوابط التي يُشترط توافرها في التعبير اللغوي؛ ليُمنَح شهادة النصية؛ لأنه محور الدراسات النصية، والأساس الذي تقوم عليه أكثر نظريات «نحو النص»؛ فهو العنصر الذي ينظر إلى النص على أنه بنية متماسكة، ويكشف عن العلاقات بين الكلمات

والجمل، والفقرات اللفظية أو المعنوية داخل النص، وحُدِّدت الدراسة في عناصر التماسك المتعارف عليها في أهم مراجع الدراسة؛ حصراً للموضوع عن الشعب، والتشتت.

وعليه، فإن هذا البحث يهدف إلى استجلاء عناصر التماسك النصي في الحديث المدروس، وإبراز أثرها في ترابط النص، ومحاولة توثيقها انطلاقاً مما تأصل في الدرس العربي القديم.

ومن المسلم به: أن الحديث الشريف من حيث البلاغة العربية، والإعجاز اللغوي يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، وهو نصُّ أدبي، كان منطوقاً، ثم دون فصار نصّاً مكتوباً؛ لذا فإن النصَّ الحديثيَّ الشريف لا يُدرَس هنا لإثبات أنه نصٌّ، فهذا أمر محسومٌ؛ بل لمحاولة الكشف عن أهم وسائل الترابط النصي التي حَفِظت للنص الحديثيِّ تماسكَه وترابطه، وجعلت له طابعاً متميزاً ومتفرداً.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي القائم على تتبع عناصر التماسك النصي في الحديث، وتحليلها، وإبراز أثرها في تماسك النص، والتحام أجزائه.

واقترضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، جاء في التمهيد بيانٌ لبعض المصطلحات التي يتعامل معها البحث وتحتاج إلى توضيح، ثم مدخل لدراسة الحديث، يشتمل على التعريف بالقصص النبوي، ونص الحديث المدروس، والمعنى الإجمالي له، ثم يأتي المبحث الأول بعنوان: التماسك النحوي، وفيه خمسة مطالب، هي: الإحالة، التعريف، الحذف، الاستبدال، أمّا المبحث الثاني فقد جاء بعنوان: التماسك المعجمي، وفيه مطلبان؛ هما: التكرير والتضام. ثم تأتي الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

أمّا ما يخص المراجع، فقد اعتمد البحث على بعض المراجع العربية القديمة، وبعض كتب المحدثين في علم اللغة النصي، التي من بينها: لسانيات

تحليل الخطاب، محمد خطابي، كما اعتمد على عدد غير قليل من المراجع المترجمة، ومنها: النص والإجراء والخطاب، لروبرت دي بوجراند.

ومن أهم الدراسات السابقة في هذا المجال الآتي:

- مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب: الخطاب النبوي في رقائق صحيح البخاري نموذجاً، لعاصم شحاتة علي، بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية الأردنية، عام ٢٠٠٩م.

- التماسك النصي في الحديث النبوي الشريف، للدكتور/ عبد العزيز فتح الله عبد الباري، جامعة عمر المختار، عام ٢٠٠٩م.

- التماسك النصي ودور المعاني النحوية في أحاديث العبادات في صحيح مسلم، محمد البدري عبد العظيم، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة، عام ٢٠٠٧م.

- التماسك النصي في صحيح البخاري، كتاب الإيمان نموذجاً، لمروة فراجي، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح.

ولا تُعد دراسة عناصر التماسك في هذا النموذج من الأحاديث وافيةً باستحقاقات قضايا كثيرة هي محل اهتمام، ومثار كثير من الأسئلة، ولكنها تُعد نماذج دقيقة لما تضمنه القصص النبوي من تماسك نصي، وإبداع نظمي.

التمهيد:

يتناول التمهيد عدداً من المصطلحات التي تُستعمل في علم اللغة النصي، وتحتاج إلى توضيح وبيان مفهوم كل منها، ومن هذه المصطلحات التي تعامل معها البحث بكثرة: (علم لسانيات النص - النص - التماسك)، وفيما يأتي شرح مختصر لها يفني بالعرض، ولا يُجِلُّ بالمعنى.

١ - علم لسانيات النصّ

تُعَدُّ لسانيات النص فرعاً من فروع اللسانيات، وتُعنى بدراسة النص وإبراز مميزاته، وتماسكه واتساقه، والبحث عن محتواه الإبلأغي التواصلي؛ حيث تحتل النصية فيها مكاناً مرموقاً؛ لأنها تجري على تحديد الكيفيات التي ينسجم بها النص/ الخطاب (e/Discours)، وتكشف عن الأبنية اللغوية، وكيفية تماسكها وتجاورها من حيث هي وحدات لسانية، تتحكم فيها قواعد إنتاج متتاليات مبنية^(١).

وبدأت الانطلاقة الحقيقية في دراسة اللسانيات النصية بأعمال زيلج هاريس Z.Harris في النصف الثاني من القرن العشرين؛ فقد قدّم هاريس منهجاً لتحليل الخطاب التماسك بنوعيه الملفوظ والمكتوب، استخدم فيه أسلوب اللسانيات النصية (Discourse analysis)، تحت عنوان «تحليل الخطاب»، وذلك في عام ١٩٥٢، واعتمد منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين: العلاقات التوزيعية للجمل، والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي^(٢)، ثم تطورت لسانيات النص في السبعينيات من القرن العشرين على أيدي علماء كبار، مثل: دي بيوجراند (De Beaugrande)، وفان ديك (Van Dijk) اللذين وضعا الأسس العامة لنظرية نحو النص الحديث في الثمانينيات من القرن العشرين.

(١) أحمد عار، تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النصية، ص ٤٩٥.

(٢) ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص ٦٥.

وقد أدت هذه الآراء إلى تطور الدراسات اللسانية النصية، فانتقل الاهتمام من اللسانيات التي تهتم بالجملة إلى اللسانيات التي تهتم بالكلام، بعدما فشلت القواعد التوليدية في تفسير وظائف اللغة، عندما اهتمت بإبراز العلاقة بين اللغة والعقل (النحو العالمي والبنية العميقة)، وهذا يعني أن القواعد التحويلية التوليدية أغفلت الاهتمام بذاكرة منتج الخطاب، وظروفه النفسية والاجتماعية، وما تمثله من أفكار ومقاصد، أضف إلى ذلك فشل القواعد اللغوية التي جاءت على شكل معادلات رياضية في تفسير الهدف الأسمى للغة، وهو المعنى^(١)، وبعبارة أخرى: قد فشلت هذه المناهج، الأمر الذي دعا إلى ميلاد مناهج لغوية جديدة، كالمنهج الوظيفي والمنهج التداولي^(٢).

ومثلت آراء هاريس نقطة تحوّل مهمة في الدراسات اللغوية؛ لأنها دعت إلى أهمية تجاوز مستوى الجملة إلى مستوى النص، ولما كان نحو الجملة صورة من صور التحليل النحوي، يقف في معالجته عند حدود الجملة، ولا يتجاوزها إلا نادراً، ومن ثمّ كان لا يعطي تصوراً كافياً عن العلاقات بين الجمل، مما أدى إلى ظهور ما يُعرف «بنحو النص»؛ ليقدم تشخيصاً لعلاقات لم يُنظر إليها في نحو الجملة، وهي علاقات فيما وراء الجملة، بين الجمل والفقرات والنص بتمامه، فيقدم «نحو النص» الدلالة الكاملة للنص، أما الجملة فتمثل الدلالة الجزئية لا الكلية؛ لأن الجملة مستقلة عن السياق، وهي في هذا الاستقلال لا تقدّم سوى معنىً معجمي للكلمات الموجودة في الجملة، وتفسير ذلك: أن هذا النحو ناشئ عن اتجاه لغوي غربي حديث، ينظر إلى النص نظرة كلية، فيعنى بوصف بنيته، ويحللها، ويبرز العلاقات بين أجزائها.

(١) ينظر: يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص ٧٠.

(٢) من علماء المنهج الوظيفي: فيرث، وهالبيدي، وبالمر، وهايمنز. ومن علماء التداولية: موريس، وغرايس، وأوستن، وسيرل، وألستون.

ومن أبرز سمات تحول البحث اللغوي إلى لسانيات النص: أن الأخيرة لم تُعد تكتفي باستخراج المعايير التي تحكم العمليات التي تتحقق في المستويات اللغوية الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، بل انتهت إلى أبعد من ذلك؛ فقد اهتمت بالتداولية متمثلةً في تحديد أوجه الاتصال، وشروطه، وقواعده، وخواصه وآثاره، وأشكال التفاعل، وعوامله، ومظاهره، وعلاقته بالنصية ومعاييرها، لا سيما الربط، والتماسك والإبلاغية والمقصدية^(١). ويتَّسم علم لسانيات النص بتشعبه إلى حد بعيد؛ إذ إننا لا نجد إلا قِدرًا ضئيلاً من الاتفاق حول مفاهيمه، وتصوراته، ومناهجه؛ فقد استوعب حدًّا لا يُستهان به من المفاهيم، نظرًا لكثرة منابعه، وأخذت اتجاهات البحث في هذا العلم أشكالاً عدة تبعاً للأسس التي يستند إليها هذا العلم، الأمر الذي لم يمكن العلماء من صياغة نظرية نصّية ثابتة، على الرغم من المحاولات الجادة التي قدّمها العلماء؛ لذا كان لا بد من تحديد المصطلحات والمفاهيم التي يعتمد عليها هذا البحث، ولعل أهمها وأجدرها هو مصطلح «النص».

ثانياً: «النص»

تقوم الفكرة الرئسية في علم اللغة النصّي على أن «النصَّ يُعد الموضوع الرئيس في التّحليل والوصف اللغوي»^(٢)، ويذهب كثير من الباحثين إلى أن مصطلح «النص» لم يتحدّد بدرجة كافية، رغم مرور ما يقارب ثلاثة عقود على نشأته الفعلية، وأبسط مثال يُضرب في هذا المقام: عدم وجود قدر مشترك في ملامح التوافق حتّى حول مصطلح «النص» ذاته؛ بل إننا نجد لدى باحث واحد بعينه في عمل واحد بعينه، في أكثر من موضع عدداً من التّعريفات، يُختلف محتوى كل تعريف عن الآخر^(٣).

(١) ينظر: سعيد بحيري، اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص، ص ١٣٥.

(٢) شبلز: علم اللغة والدراسات الأدبية، ص ١٨٤.

(٣) ينظر: سعيد بحيري، علم لغة النص، ص ١١٥، وقد أشار شبلز إلى أن أكثر الدراسات النصّية الغربية تتّصف بالتعقيد، وأنها غير مفهومة، ينظر: علم اللغة والدراسات الأدبية له، ص ١٩٠.

ومن ثم تعددت التعريفات والمصطلحات وفقاً لمناهج الباحثين، وتبعاً لرؤيتهم؛ فقد عرّف بيوجراند ودرسلر النص بأنه: حدثٌ اتصالي (occurrence communicative)^(١)، كما وضع المؤلفان أنموذجاً يُعد من أشهر النماذج المعاصرة التي وُضعت لضبط النصوص، ويتكون هذا الأنموذج من سبعة ضوابط يُشترط توافرها في التعبير اللغوي؛ ليُمنح شهادة النصية، وهذه الضوابط هي: التماسك (الربط النحوي)، والانسجام (الترابط الدلالي)، والمقصدية، والمقامية (الموقفية)، والمقبولية، والإخبارية، والتناسق^(٢). ولكن هذا لا يعني أن هذه المعايير مجتمعة يجب أن تتحقق دائماً في كل نص، وإنما المقصود أن اكتمال النص يتحقق بوجودها. في حين نجد عالماً آخر يرى أن درسلر ودي بيوجراند «لا يعينان ضرورة تحقق هذه المعايير السبعة في كل نص، وإنما يتحقق الاكتمال النصي بوجودها، وأحياناً تتشكل نصوص بأقل قدر منها»^(٣).

أما «فاينرش» فأشار إلى أن النصّ «وحدة كُليّة مترابطة الأجزاء؛ فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تُسهّم كلُّ جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً، كما تُسهّم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل»^(٤).

ويُعرّف هالدي ورؤية حسن النصّ بأنه: وحدة دلالية (Text is a semantic unit)^(٥)؛ فالنصّ يمكن أن يكون كلمةً واحدة، ويُمكن أن يكون أيضاً جملةً واحدة، ويمكن أن يكون امتداداً من جمل كثيرة، وقد حظيت دراسة النصّ باهتمام

(١) ينظر: Beaugrande, R. & Dressler, W. Introduction to Text Linguistics, P2_4، وروبرت دي

بيوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٥.

(٢) ينظر: روبرت دي بيوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣ - ١٠٥.

(٣) سعيد بحيري، علم لغة النص؛ المفاهيم والاتجاهات، ص ١٤٦.

(٤) محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، ص ٣٦.

(٥) السابق نفسه.

هاليدي ورُقِيَّة حَسَن؛ حيث صدر لهما كتاب «الاتساق في اللغة الإنجليزية» عام ١٩٧٦م، الذي اهتم فيه الباحثان - كما يظهر من عنوانه - بالاتساق، أي: الكيفية التي يتماسك بها النص^(١)، ويُعد الاتساق شرطاً ضرورياً للتفريق بين ما هو نص وما ليس نصاً، لذا فإن كل متتالية من الجمل تُشكّل نصّاً شريطة أن تكون بين الجمل علاقات^(٢).

إن أكثر مَنْ تناول النص على أنه متتالية من الجمل أكّد على ضرورة وجود روابط شكلية ودلالية بين هذه التتابعات من الجمل، ومن هذه الروابط «التماسك» أو «الاتساق» "Cohesion"، وقد لقي هذا العنصر اهتماماً دون غيره؛ لما يتضمنه من معاني الوحدة والتضام.

ثالثاً: «التماسك»

مصطلح «التماسك» مترجم عن المصطلح الأجنبي "Cohesion"، وهو أحد الضوابط التي يُشترط توافرها في التعبير اللغوي؛ ليمنح شهادة النصية، وقد اختلف المعنيون باللسانيات النصية في ترجمته، كالعادة في عملية انتقال المصطلحات العلمية مُترجمةً إلى العربية، وممن استعمل مصطلح «التماسك» كلٌّ من: الأزهر الزناد^(٣)، وصبحي الفقي^(٤)، وجودة مبروك^(٥)،

في حين استعمل مصطلح «الاتساق»: محمد خطابي^(٦)، وفريد حيدر^(٧).

(١) خطابي، لسانيات النص، ص ١١ - ١٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

(٣) الأزهر الزناد، نسيج النص، ص ١٥.

(٤) صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٩٣/١.

(٥) جودة مبروك، التكرار وتماسك النص، ص ١١.

(٦) خطابي، لسانيات النص، ص ١١.

(٧) فريد حيدر، اتساق النص في سورة الكهف، ص ١٣.

وهو مصطلح يشير إلى الأدوات الكلامية التي تكون العلاقات المتبادلة بين التراكيب ضمن الجملة أو بين الجمل، لا سيما الاستبدالات التركيبية التي تحافظ على هوية المرجع^(١).

وقد عرفه محمد خطابي «بأنه التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنص/ خطاب ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو الخطاب برُمته»^(٢)، ويفسر خطابي الاتساق بأنه «الكيفية التي يتماسك بها النص»^(٣)، وكأنه يشير إلى أن الاتساق هو التماسك.

ويدل التماسك على «الكيفية التي تمكّن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص، ومعها يصبح النص وحدةً اتصالية متجانسة»^(٤).

ويبدو غلبة استعمال مصطلحي «التماسك» و«الانسجام» في الدراسات النصية، فهذا صبحي الفقي في ترجمة المصطلح الأول يشير إلى التماسك الشكلي، وفي ترجمة المصطلح الثاني يشير إلى التماسك الدلالي أو المعنوي^(٥).

فمفهوم «التماسك الشكلي» Cohesion، يعني «ترابط الجمل في النص مع بعضها بعضاً بوسائل لغوية معينة»^(٦)، وهذا الترابط يهتم بالروابط التي تجري في سطح النص أكثر من اهتمامه بالمشكل الدلالي أو المعنوي للنص.

واختير في هذا البحث استعمال مصطلح «التماسك» دون غيره؛ لما يتضمنه من معاني الوحدة والتضام.

(١) أزوالد ريكوجان ماري ستايف، القاموس الموسوعي الجديد، ص ٥٤٠.

(٢) محمد خطابي، لسانيات النص، ص ٥٥.

(٣) محمد خطابي، لسانيات النص، ص ١٢.

(٤) عزة شبل، علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، ص ١٨٤.

(٥) صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص ٩٦.

(٦) مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص ٢٠.

ولأن «أهمية السبك تكمن في خلق نصية النص، وتحقيق الاستمرارية والاطراد، والإفادة، وفهم النص، وتفسيره، وأبرز من ذلك جعل النص مجموعةً من الوحدات المتداخلة والمتشابكة والمتكاملة، يسري من خلالها تدفق دلالي، تفضي فيه كل فكرة إلى أختها، مع التركيز على صحة النشاط اللغوي من خلال صحة المستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والدلالية»^(١).

وقد حاول مجموعة من الباحثين المعنيين بدراسة نحو النصّ تأسيسَ نظرية شاملة تبحث في الترابط النصي من حيث أشكاله ووسائله، وهم رغم الاختلاف الحاصل في تحديد المفاهيم، يوجد بينهم شبه اتفاق على أدوات ووسائل التماسك النصي، وقد عني علماء التماسك النصي بتوضيح معانيها والمقصود بها، وإن لم تأخذ حقها في مجال الدراسات التطبيقية، ولعل أبرز من تناول تلك الوسائل بالشرح والتمثيل هاليدي ورؤية حسن؛ فقد تبلورت ماهيته وأسسها على يديهما، وسيكون الاعتماد في هذا البحث على تلك الأدوات، وسيكتفى بذكر ما قدمه العالمان؛ تفاديا للحشو والإطالة؛ إذ تظل هذه الآراء موجودةً محفوظةً في مصادرها لمن أراد الرجوع إليها.

ويمكن تقسيم «وسائل التماسك النصي» إلى قسمين:

وسائل نحوية، وفيها: (الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل).

وسائل معجمية، وفيها: (التكرار، والتضام).

مدخل: حديث الأبرص والأقرع والأعمى، ويشتمل على:

القصص النبوي: القصص بكسر القاف جمع، واحده: قصة، والقصة في لغة العرب: الأخبار المروية، والأنباء المحكية، وأصل القصص عند العرب: تتبّع

(١) يسري نوفل، المعايير النصية بين السور المكية والمدنية، ص ٣٩ - ٤٠.

الأثر، وسُمِّيت حكاية الأخبار قصصاً؛ لأن القاص يتتبع أحداث القصة كما وقعت، ويتتبع ألفاظها، ويكتشف معانيها^(١)، قال ابن منظور: «والقصة: الخبر، وقصَّ عليَّ خبره يقصُّه قصّاً وقصصاً: أورد..»^(٢).

وتُعرَّف القصة بأنها «فن حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرض مقصود. والقصة فنُّ أدبي قديم، صاحَب الأمم من عهد البداوة وإلى عهد ذروة الحضارة، ومكانته ممتازة بين الفنون الأدبية؛ لمرورته، واتساعه للأغراض المختلفة، ولجمال أسلوبه، وخفته على النفس»^(٣).

وهي في بعض الأحيان تُستخدمُ للدلالة على نوع من الفن القصصي، لا يطول ليلغ حدَّ الرواية، ولا يقصُر ليقف عند حدِّ الأقصوصة^(٤).

وقد أمر الله - عز وجل - رسوله الكريم بأن يقصَّ على الناس ما يعلمه من القصص، فقال: ﴿فَأَقْصِبِ قَصِّصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، أي: اقصِّص هذه القصة وغيرها، وهذا تذييل للقصة الممثل بها، يشملها وغيرها من القصص التي في القرآن؛ فإن في القصص تفكراً وموعظة، فيرجى منهم تفكرهم وموعظتهم؛ لأن للأمثال واستحضار النظائر شأنًا عظيمًا في اهتداء النفوس بها، وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة؛ لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكُّر مشاهدة الحالة بالحواس، بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس^(٥).

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٤٠٥، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٧٠/٤.

(٢) لسان العرب (قصص).

(٣) معجم علوم اللغة العربية، محمد الأشقر، ص ٣٢٠.

(٤) إميل يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والآداب، ٢/ ٩٨٠.

(٥) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٩/ ١٧٥.

وقد كان - عليه الصلاة والسلام - أول من سار على نهج القرآن الكريم في توظيف القصة في نشر الوعي، وتعميق مبادئ الإسلام في النفوس؛ حيث نجد الرسول يتخذ من القصة أسلوباً مهماً من أساليب الدعوة، يُحمّلها قيم الإسلام ومعانيه^(١).

وقد اشتملت كتب الحديث المعتمدة - من صحاح وسنن - على نصوص قصصية كثيرة جداً، وهي متفاوتة طولاً وقصراً، كما تتفاوت - أيضاً - في حظها من بروز العنصر القصصي.

وقد فطن المحدثون الأوائل إلى هذه الأحاديث، التي تتميز بشكلها القصصي، ونصّوا على تسميتها قصةً، ومن أمثلة ذلك عند البخاري: قوله: «باب قصة الحبش»^(٢)، وقوله: «باب قصة غزوة بدر»^(٣)، وعند مسلم كقوله: «... ثم ذكر سائر الحديث بقصته...»^(٤).

ولما كانت الأحاديث التي تحمّل في مضمونها قصةً تبدو مترابطة الأجزاء، محكمة البناء، يرتبط أولها بآخرها، وتوظّف اللغة فيها لنقل مشاهدتها الحيوية، وأهدافها الدينية والتربوية؛ من أجل ذلك كله اختير هذا النوع من الأحاديث لدراسة التماسك النصي فيه؛ لافتراض ظهور عناصر التماسك بجلاء وإحكام. وقد وقع الاختيار على هذا الحديث؛ لبروز العنصر القصصي فيه من ناحية، ولظهور أكثر عناصر التماسك النصي من ناحية أخرى.

نص الحديث:

«حدثنا شيبان بن فرُّوخ، حدثنا همّام، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة، أن أبا هريرة حدثه، أنه سمع النبي - صلى الله عليه

(١) عمر الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص ١٤ - ١٥.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، ٤ / ١٨٤.

(٣) المصدر السابق، كتاب المغازي، ٥ / ٧٢.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، رقم: (٢٠٤٠).

وسلم- يقول: إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرتني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قدره، وأُعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأبي المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو قال: البقر، شك إسحاق- إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، قال: فأعطي ناقة عشاء، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قد قذرتني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، وأُعطي شعراً حسناً، قال: فأبي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملاً، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرُدَّ الله إلي بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأبي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والداً، فأنج هذا، وولد هذا، قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلغ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأي أعرفك، ألم تكن أبرصاً يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كبراً عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما ردَّ على هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته لله، فقال: أمسك مالك؛ فإننا ابتليتم، فقد رُضي عنك وسُخط على صاحبيك»^(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣/ ١٢٧٦، رقم: (٣٢٧٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرفائق ٤/ ٢٢٧٥، رقم: (٢٩٦٤).

المعنى الإجمالي للحديث:

ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث قصة ثلاثة من بني إسرائيل ابتلاهم الله -عز وجل- بعاهات في أبدانهم، أحدهم أبرص، والثاني أقرع ليس على رأسه شعر، والثالث أعمى لا يبصر، فأراد الله -سبحانه- أن يبتليهم ويختبرهم؛ لأن الله -سبحانه- يتلي العبد بما شاء، يبلوه. هل يصبر أو يضجر في الضراء؟ وهل يشكر أو يقتّر في السراء؟ فبعث الله إليهم ملكاً من الملائكة يسألهم: أي شيء أحب إليهم؟ فبدأ بالأبرص، فسأله، فأجاب: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قذرتني الناس به؛ لأن أهم شيء عند الإنسان أن يكون معافى من العاهات، لا سيما العاهات المكروهة عند الناس، فمسحه الملك، فبرأ بإذن الله، ثم سئل: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، فأعطي ناقه عشاء، ودعا له الملك بالبركة.

ثم أتى الأقرع وسأله السؤال نفسه، فقال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قذرتني الناس به، فمسحه، فأعطي شعراً حسناً، وقيل له: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملاً، ودعا له بالبركة.

أما الأعمى فجاءه الملك وسأله كما سأل صاحبيه؟ فأجاب: أن يرده الله عليّ بصري، فأبصر به الناس.

ثم مضت الأعوام، وبارك الله لكل واحد منهم في ماله، فإذا به يملك وادياً من الصنف الذي أخذه، وهنا جاء موعد الامتحان الذي يفشل فيه الكثير؛ وهو امتحان السراء والنعمة، فعاد إليهم الملك، وجاء كل واحد منهم في صورته التي كان عليها؛ ليذكره بنعمة الله عليه.

فجاء الأول على هيئة مسافر فقير أبرص، وسأله بالذي أعطاه الجلد الحسن واللون الحسن، والمال الوفير أن يعطيه بعيراً يواصل به سيره، فأنكر الرجل النعمة، وبخل بالمال، واعتذر بأن الحقوق كثيرة، فذكره الملك بحاله السابقة قبل